بحث عام

صراعات الزوايا والسلطة في المغرب

خلال عهد الدولة العلوية من خلال مسارات متقاطعة

خالد طحطح

باحث مغربي

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة © 2015

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved © 2015

Mominoun Without Borders

الملخص التنفيذي:

ارتبطت ثقافة النخبة المغربية خلال القرن التاسع عشر بالموروث الصوفي المتعدد المشارب، وهو ما ساهم في بروز كتابات وانتماءات وممارسات مختلفة تقاطعت أحيانًا وتناقضت في أحيان أخرى، وذلك حسب توجهات السلطة واختياراتها.

ليس الغرض في هذه الورقة البحثية استحضار الأبعاد الدينية لحركة التصوف بالمغرب خلال القرن 19م، ولا وصف التنظيمات الطرقية بها بشكل دقيق، وإنّما الهدف تتبع تأثيراتها السياسية والإيديولوجية داخل مؤسسة السلطة، وذلك من خلال تعقب الأسباب المتحكمة في اختلاف توجهات السلاطين ورجالات البلاط اتجاهها.

لقد كانت الطائفة الدرقاوية، التي ارتبط تأسيسها بشخصية مولاي العربي الدرقاوي، مستقلة منذ بداياتها، ولذا لم تلق النجاح في صفوف النخبة ورجالات المخزن، غير أنّها ما لبثت أن اخترقت صفوف السلطة المركزية في مراحل لاحقة، وبالخصوص مع انتقال الزعامة إلى فرع الأسرة الحراقية، حيث وجدت موطئ قدم لها في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن.

أما الطريقة التيجانية، والتي تعتبر من أكبر الطرق تأثيرًا في المغرب، فإنّها كانت على وفاق دائم مع السلطة منذ بدايات تأسيسها، حيث لقي شيخها أحمد التيجاني ترحيبًا كبيرًا من قبل السلطان المولى سليمان، وتمكن من الاندماج بسرعة ضمن النخبة المؤثرة في المحيط العلمي والديني والسياسي للسلطان.

وبالنظر إلى تصاعد دور الطريقتين التيجانية والدرقاوية خلال القرن التاسع عشر، فإنّ مجالات الاحتكاك بينهما اتخذت طابع الحدة والقسوة، وهو الأمر الذي عبرت عنه النقاشات الفكرية بين المتخالفين، وإن كان تتوارى في الظل أسباب أخرى مرتبطة بالمنافسة التي لا بد منها بين الأقران، وقد عمق ظهور تأثير حركة محمد بن عبد الوهاب النزاعات بين السلطة وتيارات طرقية بعينها تم استهدافها دون غيرها.

****

كان تيار التصوف والزوايا قويًّا خلال فترة القرن التاسع عشر بالمغرب، خصوصًا بمدينة فاس التي استقر بها عدد كبير من زعمائها، وقد كان لهذا التيار عدد كبير من الأنصار والأتباع، وحظي غالبًا بدعم من السلطة السياسية، ونشطت فروعه في جميع المدن المغربية خلال القرن 13هـ/19م، فقد تعددت أصناف هذه الطرق، وأشهرها آنذاك الطريقة التيجانية والدرقاوية والوزانية والكتانية، وقد كان لبعض رجال التصوف تأثير كبير في الدولة والمجتمع خصوصًا في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان وابنه المولى الحسن[1].

الكاتب السلطاني علي بن محمد السوسي السملالي وتوجهه الصوفي

يعتبر علي بن محمد السوسي السملالي (ت1311ه-1893) واحدًا من أهم كتاب السلاطين العلويين خلال عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن الأول، وكان من بين رجالات السلطة الذين ناصروا تيار التصوف، فكتاباته مليئة بأقوال كبار أئمتهم، وأغلب المصادر التي اعتمدها والمصطلحات التي استعملها تؤكد أنّه كان متشبعًا بفكرهم، انتسب إلى الطريقة الدرقاوية الحراقية، التي يوجد مقرها بتطوان، فقد تلقى مباشرة عن شيخها محمد الحراق (ت1261-1845)، حسب ما أخبر به في كتاباته، حيث استعمل عبارة "شيخنا العارف بالله سيدي محمد الحراق"[2]، أو عبارة "العارف الأكبر، والولي الأشهر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو عبد الله سيدي محمد الحراق"[3]، مما يعطي الانطباع أنّه كان من تلامذته وأتباعه المخلصين، أخذ عنه مباشرة، وتأثر به وبأسلوبه، فهو أحد شيوخه البارزين كما ورد في "سلوة الأنفاس" و"الإعلام"[4]، ونستشف ذلك من متن كتبه، إذ يبدو تأثير هذا الشيخ قويًّا من خلال بعض ملامح التصوف التي تتخلل كتب علي السوسي السملالي، فقد أورد ونقل عنه وعن كراماته الشيء الكثير، وهو يصفه في كتاباته "بجنيد وقته"، و"بالعارف الأكبر خاتم وقته وشاذليه وحفيده"[5]، ورفع مقامه إلى درجة القطبانية الكاملة[6].

---

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، دار الرشاد الثالثة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1414-1993، ص 553

[2] علي بن محمد السوسي السملالي، **مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن**.دراسة وتخريج خالد طحطح، رسالة لنيل شهادة ديبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، مرقونة، 2007، من المخطوط، ص ص 24-152

[3] علي بن محمد السوسي السملالي، **مطالع السعادة في فلك سياسة الرناسة**. مخطوط بالخزانة الملكية، رقم 11445، ص ص 58-228

[4] الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1425-204.، ج3، ص 479/ العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج9، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ /1983م. ص 262

[5] علي بن محمد السوسي السملالي، **مطالع الحسن واتباع السنن**، م.س، ص 152

[6] علي بن محمد السوسي السملالي، **مطالع السعادة في فلك سياسة الرناسة**، م.س، ص ص 133-143

يعد الشيخ محمد الحراق علمًا من أعلام التصوف والشريعة، له إشعاع ثقافي واسع، وأسلوبه الأدبي رفيع في الشعر والنثر، وقد تقاطر المعجبون بكثرة على دروسه وحلقاته العلمية من كل أنحاء المغرب بما فيهم رباطيون وفاسيون[7]، وقد كان علي السوسي السملالي أحد هؤلاء الذين حجوا إلى دروسه بتطوان، فهناك إشارة واضحة في كتابه: "مطالع الحسن.."، تؤكد وجوده في تطوان خلال فترة حكم السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بقوله: "كنت مع الشيخ سيدي محمد الحراق بتطوان، وجاء أمر المقدس سيدنا ومولانا عبد الرحمان، بأنّ كل من يتعاطى صنعة المدفع والمهراز يقبضون كذا ويكسون، ويشتغلون بقراءة القلصادي"[8].

لقد كان لتوجه علي السوسي السملالي الصوفي تأثير كبير في موضوعات كتاباته ونوعية مواقفه، فانتماؤه للطريقة الدرقاوية من الأسباب التي جعلته مشاركًا في النقاشات الفكرية والخلافات الفقهية والجدال الكلامي السائد آنذاك مع أفراد من علماء عصره المخالفين له في الطريقة، وتبرز طبيعة هذه الموضوعات الخلافية في القضايا التي تناولها، ونوع الأسلوب الذي استخدمه، وعلى الرغم من الخطاب العقلاني الذي تميز به في كتبه، فإنّه ظل وفيًّا لثقافته الصوفية، وهذا التلازم يجد تفسيره في السياسة المخزنية التي دعمت الزوايا.

العالم الأديب محمد الحراق: من المحنة إلى شيخ الطريقة

ينتسب شيخ الطريقة محمد بن محمد الحراق، إلى الشرفاء العلميين، وينتهي نسبه إلى سيدي موسى بن مشيش أخي القطب مولاي عبد السلام، ولد بمدينة شفشاون، ولا تزال دارهم معروفة لحد الساعة بالسويقة، ومازال الزقاق إلى الآن يحمل اسم درب الحراق، فهناك نشأ وحفظ القرآن، ولما جاوز العشرين سنة التحق بالقرويين، وشق على أبويه فراقه، لأنّه ابنهما الوحيد، فسافرا معه لمؤانسته حتى أتم دراسته، وظل بها إلى أن أرسل أهالي تطوان إلى السلطان سليمان يطلبون منه أن يبعث لهم عالمًا ممتازًا يكون مدرسًا وخطيبًا بالجامع الكبير، الذي تم تجديده سنة 1808م/1223هـ فلما استشار كبار علماء فاس، أشاروا عليه باختيار محمد الحراق لهذه المهمة[9]، وقيل إنّ منافسيه من أولئك العلماء وبعض أعيان الدولة وجدوها فرصة للتخلص منه، فبقاؤه بالقرب منهم بفاس، أثر في مكانتهم لما امتاز به من العلم والأدب وقوة الشخصية، فقد اشتهر بين أقرانه بالقرويين بالنبوغ، فاعتبروه منافسًا غريبًا عملوا على التخلص منه، فغادر متوجهًا إلى تطوان التي قضى فيها

[7] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، م.س، ص 565

[8] علي السوسي السملالي، **مطالع الحسن واتباع السنن**، م.س، ص 66

[9] كان الشيخ محمد الحراق عند انتقاله من فاس إلى تطوان، في أواسط العقد الرابع من عمره، وكان في ذلك العهد فقيهًا عالمًا لا ينتسب لا إلى التصوف ولا إلى المشيخة، وأخذ في تدريس العلوم بالجامع الأعظم والخطبة بجامع حومة العيون، مع اشتغاله بالعدالة والفتوى، للمزيد عن حياة الشيخ محمد الحراق يراجع: محمد داوود. **تاريخ تطوان**، المجلد السادس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيلي، المطبعة المهدية، 1386هـ/ 1966، تطوان، ص 294

بقية عمره، إلى وفاته، وقدكان عالماً جامعًا، مشاركًا في عدة العلوم، من تفسير وحديث، وفقه وتصوف، ومعقول بجميع فنونه، وأما الأدب والشعر، فقد كاد أن ينفرد بهما في عصره، ولذلك فقد حاز مكانة كبيرة لدى أعيان تطوان، فكثر حساده من منافسيه، وقد اتهم في قضية شبهة بخصوص الادعاء بوجود علاقة بينه وبين امرأة وجدت في مقصورة المسجد يوم الجمعة، وتم عرضت القضية على القاضي عبد الرحمان الحايك وهو من أشد خصومه، فصدر في حقه أمر التوقف عن الخطابة والإمامة والتدريس والفتوى، فلزم بيته حزينًا مما ابتلي به، مهمومًا بما صار إليه، وقد مرض مرضًا شديدًا، حينما بلغه الأمر السلطاني بتأييد قرار قائد تطوان بتوقيفه عن أعماله، وفي هذه الفترة العويصة، وفي عز أزمته الروحية، دخل الحراق في فترة أشبه ما تكون بنقد ذاتي لنفسه ولمحيط الفقهاء من حوله، ولعله أدرك أنّ المضايقات التي لاحقته بفاس وتطوان من علماء الشرع لم تكن معززة بضمير أخلاقي ولا بنية حسنة [10]. زاره في خلوته جماعة من الدرقاويين، طلبوا منه أن يقرأ معهم الحكم العطائية، في زاويتهم الخاصة بحومة الجنوي، فقبل ذلك منهم، إذ وجد في هذا العرض فرصة أتاحت له العودة مجددًا إلى مسرح الأحداث، كما وجد فيه الدرقاويون داعية آخر قادرًا على تعويض فقيه تطوان ومتصوفها أحمد بن عجيبة المتوفى سنة 1224هـ/1809. وقد شرع في إلقاء دروسه في أحضان الزاوية الدرقاوية، إلى أن بعث له شيخ الطريقة مولاي العربي الدرقاوي بغلة مسرجة مع جماعة من أصحابه، طالبًا منه القدوم عليه إلى غمارة[11]، فخرج إليه، فدخل عليه، ورحب به، وفرح به غاية الفرح، ومنذئذ أصبح محمد الحراق من كبار المتصوفة الدرقاويين بتطوان، غير أنّه لم يسلك طريق القوم على شاكلة سلفه ابن عجيبة[12]، من التجرد، وخرق العوائد، وحمل النفس على المشاق. ولبس المرقعة[13]، فهذه المظاهر كانت سببًا في ملاحقة المعارضين لابن عجيبة وأنصاره، وأدت إلى فشل دعوة الدرقاويين في مدينة تطوان في عهده، فقد كان لتضافر عداء الريسونيين وفقهاء تطوان وبعض الأعيان التطوانيين، أثر في موقف السلطان سليمان الذي

[10] عبد المجيد الصغير، **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17**، ج1، دار الآفاق الجديدة المغرب، الطبعة الثانية 1415/1994 مطبعة النجاح الجديدة، ص 243

[11] تتحدث روايات الأتباع الدرقاويين من مريدي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأصحاب االشيخ محمد لحراق، عن كرامات اللقاء الأول، راجع: عبد الله بن عبد القادر التليدي، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثالثة، 2000، من ص 228 إلى ص232 /محمد داوود. **تاريخ تطوان**، المجلد السادس، ص ص 303-304

[12] ابن عجيبة الحسني: ولد سنة 1746/1160م بدأ حياة الترحال في سبيل العلم بتعرفه على الفقيه محمد السوسي السملالي الذي كان يدرس في مدينة القصر الكبير، فذهب معه إلى المدينة، وتفرغ لدراسة العلم، وظل هناك إلى سنة 1767، حيث عاد إلى موطنه بمدينة تطوان، وتتلمذ على يد الشيخ الدرقاوي ومحمد البوزيدي في التصوف، وقد تعرض للمحنة.. توفي سنة 1224ه-1809م أنظر ترجمته في **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ج1، دار الكتاب، البيضاء، 1960م، ص246، **ومعلمة المغرب**، ج18، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ص 5991

[13] نعت أبو القاسم الزياني درقاوة "بأصحاب المرقعات"، راجع: الزياني، **الروضة السليمانية، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية**، مخطوط، نسخة مكتبة آل سعود، ص244، وبالفعل فقد تميز أتباع الطريقة الدرقاوية بلبس المرقعة، وحمل سبحة كبيرة الحجم في العنق، وحمل العصا، والمشي بدون نعال، وسؤال الناس في الأسواق لإذلال النفس وقهرها، بالإضافة إلى التجمهر في حلقات الذكر الجماعية، راجع بهذا الخصوص: الخداري محمد، **"دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823م"**، دكتوراه وطنية، تخصص تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، موسم 2005/2004، مرقونة، ابتداءً من ص 66

عبر بدوره عن موقف سلبي من خروج ابن عجيبة عن المألوف، إذ أرسل إلى القائد رسالة قاسية بشأنه، بقوله: "إن لم يتب ابن عجيبة من تصوفه ويرجع إلى تدريسه فكبله بالسلاسل وأرسله إلي"[14].

السلطان المولى سليمان: الجفاء اتجاه الدرقاويين مقابل الاحتفاء بالتيجانيين

إنّ العلاقات بين الدرقاويين والمخزن في عهد المولى سليمان اتسمت منذ البداية بالحذر والتوجس، إذ لم تلق النجاح في صفوف النخبة الحضرية ورجالات المخزن، بسبب اتخاذ شيوخها وأتباعها حياة التقشف وإذلال النفس في المظهر والمأكل، ولبس المرقعات، والاجتماع في حلقات المدح والسماع. وبالعكس من ذلك، لقيت الطريقة التجانية، وشيخها ترحيباً كبيرًا من السلطان المولى سليمان ونخبته المخزنية، لانسجام تعاليمها مع مواقف السلطان الرافضة لكل أشكال البدع من زيارة الأضرحة واتخاذ المواسم والاحتفالات الطقوسية الموسمية، من جهة، ولمساندة هذه الطريقة للمغرب ومعاداتها لأتراك الجزائر من جهة ثانية.[15]، حتى أنّ أحمد التيجاني (1150-1737/ 1230-1814) غادر مقره الموجود بقصر أبي سمغون، بعين ماضي (سنة 1213هـ/ 1798) بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان الذي تضايق من نفوذه بالمنطقة، "وكان المغرب هو البلد الذي اختاره لمقامه"[16]، وقد استقبله المولى سليمان بحفاوة بالغة في العاصمة فاس، التي ورد إليها، وأكرم وفادته، ونوه بقدره، وأنفذ له الدار المعروفة بالحضرة بدار المرأة[17]، وقد تمكن أحمد التيجاني من الاندماج بسرعة ضمن النخبة المؤثرة في المحيط العلمي والديني والسياسي للسلطان، إذ أحاط به عدد من أثرياء فاس وتجارها، وبعض الفقهاء والكتاب من النخبة المخزنية[18]، فقد انخرط في الطريقة التيجانية العباس الشرايبي، والقاضي العباس بنكيران، والفقيه حمدون بن الحاج، والفقيه عبد القادر بن شقرون، ومحمد أكنسوس، وقد غدت هذه الطريقة بسرعة كبيرة الأكثر انتشارًا في المغرب، دون جدال، إذ استقطبت العلماء من أهل الحاضرة تحديدًا، وانضم إليها الكثير من سكان المدن، غير أنّ أحمد التيجاني لم يسلم من الانتقادات النفاثة

[14] عبد المجيد الصغير. **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17**، ج1، م.س، ص ص 68-193/164

[15] لايعود السبب في احتضان المولى سليمان للتيجانية كونها تلتقي مع الوهابية في قضية النهي عن زيارة الأضرحة، ولكن لأنّ أتباعها في الجزائر كان يومها ضد الأتراك وحكمهم، أنظر: عبد السلام الطاهري، **الفكر الإصلاحي بالمغرب، الخطاب السلفي المخزني نموذجًا من 1757 إلى 1894** الطبعة الأولى، 2008، طوب بريس، وهي في الأصل رسالة جامعية قدمت لنيل دبلوم الدراسات العليا أنجزت سنة 1991. ص 208

[16] عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة التصوف الإسلامي**، ج2، الطبعة الأولى، 2001، ص 167

[17] محمد العربي السائح الشرقي العمري التيجاني، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، دار الفكر للطباعة والنشر، 1973م، ص 180

[18] كانت الطريقة التيجانية مفضلة لدى البرجوازية الحضرية، فقد تقبلوها بسرعة كبيرة واندمجوا في صفوفها، راجع: إدموند بورك، **الاحتجاج والمقاومة في مغرب ما قبل الاستعمار (1860-1912)**، ترجمة محمد أعفيف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم 17، الطبعة الأولى 2013، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص 35

لبعض علماء فاس المخالفين، خصوصًا العالمان الطيب بنكيران ومحمد بن عبد السلام الناصري، اللذان انتقداه بشدة في مسألة تعالي الولي عن النبي[19]، كما انتقده بشكل لاذع مرارًا المؤرخ أبو القاسم الزياني.

الأديب المؤرخ أكنسوس: الهجوم الحاد على خصوم التيجانيين

يعتبر أكنسوس واحدًا أبرز المنافحين عن الطريقة التيجانية ضد خصومها، فقد ألف في الدفاع عنها **الجواب المسكت في الرد على من تكلم عن التجاني بلا تثبيت**، ومن خلاله يرد على أحمد البكاي القادري الطريقة، المستقر بتمبوكتو بالسودان الغربي[20]، وقد جاء رده في سياق جوابه على رسالة البكاي، التي أرسلها له ينتقد فيها مشروعية أحمد التيجاني وسنده الصوفي، ويشكك في مشيخته، ويدعوه فيها إلى الدخول في الطريقة المختارية القادرية[21]، وللإشارة فإنّ هذه الطريقة لم تكن تلقى ارتياحًا من قبل المخزن المركزي لتأييدها لحكم الأتراك بالجزائر. وقد ألف أكنسوس كتابًا آخر يرد فيه على المخالفين لطريقته الصوفية سماه "الحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية"، وقد عُرِفَ هذا الكاتب والأديب السلطاني بعداوته لكل من تكلم في التيجانية بسوء، وعليه فتحامله على أبي القاسم الزياني في كتابه الجيش العرمرم، وإن كانت وراءه أسباب مهنية تتعلق بالمنافسة التي لا بد منها بين الأقران، فإنّها تعود بالدرجة الأولى إلى حجم العداء الذي أظهره الزياني صراحة للطريقة التيجانية وشيخها أحمد التيجاني[22]، إذ وجه إليه انتقادات حادة، وشن على دعوته هجمة شرسة في كتابيه **الترجمانة، والروضة السليمانية**، فقد وصفه بأقبح الصفات، ونعته بالخسيس والشيطان[23]، ووسم أتباعه بالجهال والزنادقة المتمسكين بسنة اليهود، وزاويته بمحل أهل البدع والضلال[24].

---

[19] الجيلالي العدناني، "أصول الزاوية التيجانية، حينما يتكلم المريدون الأوائل"، ترجمة إدريس خضراوي، **مجلة المناهل**، وزارة الثقافة المغربية، فبراير 2007، العدد 80، 81، **الزوايا في المغرب**، ج2، ص 90

[20] أحمد الأزمي، "الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19"، **مجلة المناهل**، ج1، منشورات **وزارة الأوقاف** والشؤون الإسلامية، الرباط، 2000، من ص 390، وللمزيد بخصوص تفاصيل المناظرة الصوفية بين أكنسوس والبكاي يراجع: محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، تقديم أبو القاسم سعد الله، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، من ص 213 إلى ص 221

[21] عبد السلام بن أحمد اللجائي العمراني. **المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية**، تحقيق محمد الدريدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف علال الخديمي.كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة الجامعية 2004-2005. مرقونة، ص 516

[22] أحمد الأزمي، "الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن19"، **مجلة المناهل**، م.س، من ص 128 إلى ص 394

[23] خصص أبو القاسم فقرة في كتابه الترجمانة الكبرى للتيجانية، انتقد فيها شيخ الطريقة ومبادئه بأسلوب شديد القسوة، ومنها قوله "ولما استقرت به الدار (بفاس) اجتمعت عليه طائفة أخرى من الأشرار، وتسمت هذه الطائفة باسمه الخسيس، وهو أحمد تجين، هو وطائفته في سجين، فأظهر ما كان منطوياً عليه من البدعة...فانظروا يا عباد الله مخاطبة هذا الشيطان لأوليائه، ووصيته لتلامذته وأخصائه..." راجع للمزيد بشأن موقف الزياني من الطائفة التيجانية، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برًّا وبحرًا**، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الثانية، 1412، 1991، من ص 460 الى ص 466

[24] ننقل هنا بعض الانتقادات الأخرى التي وجهها الزياني لأحمد التيجاني والتيجانية، من **الروضة السليمانية**، "وفي هذه السنة قدم لفاس الفقيه أحمد التيجاني، الذي نفاه الباي محمد بن عثمان صاحب ولاية وهران من تلمسان، لما بلغه من سوء عقيدته.. وأخرجه من إيالته وقصد قرية أبو صمغون، .. وشاع خبره في تلك النواحي، واستمر على غواية الجهلة من العوام، فاعتقدوه.. ولما مات الباي محمد بن عثمان وتولى الإمارة ابنه عثمان باي، وبلغه ما هو عليه من البدعة، وجه لأهل قرية أبو صمغون.. وأقسم لهم إن بقي عندهم ليطأن بلادهم، ويخربها عليهم، فلما سمع ذلك أحمد التيجاني فر مع بعض

لقد انتصر أكنسوس في **الجيش العرمرم** لآراء الطريقة التيجانية وأفكارها، وهاجم فيه باللمز والقدح مخالفيه، وقد أثار هذا الكتاب لدى معاصريه انتقادات لا يخلو بعضها من خلفيات بسبب ميولاته المذهبية، وظهر ذلك في مؤلفات عديدة منها رسالة صغيرة لمحمد المهدي بنسودة، والمشهور كتاب: "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس" للعربي المشرفي، وكتاب: "ما أبرزته الأقدار في نصرة ذوي المناقب والأسرار" لعلي بن طاهر الوتري، رد فيه على صاحب "الجيش العرمرم"، حيث نقص من مذهبه وسب معتقده، هذا فضلاً عن انتقادات متعددة تتعلق بمواضيع تطرق إليها أكنسوس، وردت ضمن مؤلفات أخرى، من بينها "الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال" للحجاجي محمد الأمين، وفي كتاب "البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن" لمحمد بن إبراهيم السباعي[25].

وقد كان علي السوسي السملالي من بين الذين ردوا على بعض ما جاء في كتاب أكنسوس من أخطاء ومساوئ وزلات-حسب تعبيره-، يشير إليها بالتلويح الصريح أحيانًا، ودون الإفصاح أخرى، فهو ينتقد بصفة عامة الطريقة التي ألف بها كتابه الجيش الخماسي العرمرم، يقول علي السوسي السملالي: "فمن من أدركناه الفقيه الزاهد، الورع، المتبرك به حيًّا، أديب الزمان، وأعجوبة الأوان، الكنسوسي، ألف كتابًا شريفًا سلك فيه مسلك الأدباء على عادتهم من المدح مرة، والذم أخرى، إذ لا يخل امرؤ منهما، بل الشيء الواحد يذم باعتبار، ويمدح باعتبار، ذم ومدح وذات الشيء واحد، إنّ البيان يمر في ثقل الظلماء كالنور، ولسلوك هذا المسلك وجد المتكلمون إليه سبيلاً، فقل ما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات"[26]، ويعلق على ذلك بقوله: "فلو سلك في كتابه ما كان يجب عليه أن يسلكه من طريقة السلف الصالح بأن لا يرى في الناس إلا خيرًا، ولا يقول إلا خيرًا.. وأما ذكر المساوئ، فمن باب تحصيل الحاصل.. وبالجملة فقبول الأعذار والتماس المخارج والتأويل القريب.. هو مذهب أئمتنا"[27]، وفيه إشارة واضحة إلى قضايا وردت في كتاب أكنسوس رد عليها السوسي السملالي بشكل مباشر في كتابه "مطالع الحسن واتباع السنن"، كمسألة تكفيره لبعض قبائل البربر، وتحامله على الطرق الصوفية ومشايخها، وخصوصًا الطريقة الدرقاوية.

تلامذته وأولاده عن طريق الصحراء، وقدم لمدينة فاس، ولما بلغها وجه رسوله بكتابه لأمير المؤمنين يطلب منه القبول، وأنّه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم، وأنّه استاجر بأهل البيت منهم، فما وسعه إلا القبول، وأذن له في القدوم عليه، والدخول لمجلسه.. وأعطاه دارًا معتبرة.. واشتغل بما كان عليه من إغواء الخلق، واجتمع عليه جهلة الناس وطلاب الدنيا من التجار.. وصار ينهاهم عن زيارة الصالحين، وعن قراءة دلائل الخيرات، وقال لأصحابه: أنتم أفضل من الصحابة... وعلمهم سنناً بدعية.. يجتمعون في هاويته على فرائضه وسننه التي سن لهم.. وقد ذكرنا جميع مقالاته التي بلغتنا في رحلتنا المسماة بـ**الترجمانة**..فقبح الله التيجانية، والحشوية، والكرامية، المتمسكين بسنة اليهود... ولازالت هذه الطائفة التيجانية معتكفة على ضلالها، مستغرقة الأوقات في وبالها، مكبين على ما خدعهم به ذلك الشيطان الرجيم، والشقي الزنيم، إلى أن يكبهم ملك الموت في الجحيم.." راجع: أبو القاسم الزياني، **الروضة السليمانية**، م.س، من ص 238 إلى ص 241

[25] يعود سبب تحامل السباعي على أكنسوس بالدرجة الأولى إلى طعن هذا الأخير في قبيلته أولاد أبي السباع، التي طردها السلطان محمد بن عبد الله، إلى الصحراء، وقد خصص السباعي جزءًا كبيرًا للدفاع عن أولاد أبي السباع، وهاجم أكنسوس في صفحات عديدة، راجع، محمد بن إبراهيم السباعي، **البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن**. ج2، تقديم وتحقيق محمد المنصور، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، إشراف محمد الأمين البزاز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مرقونة. 2002 من ص 261 إلى 293

[26] علي بن محمد السوسي السملالي، **مطالع الحسن**....م.س، ص 8

[27] المصدر نفسه، ص 9

الصراع الدرقاوي التركي بالجزائر: حدث يُذكي الخلاف الداخلي بين العلماء وكتاب السلاطين

لقد هاجم الكاتب أكنسوس في كتابه موقف العربي الدرقاوي، وتحديدًا، تصرفاته خلال الأزمة التي وقعت بين أتباعه والأتراك في الجزائر سنة 1220هـ/ 1805م، إذ اتهمه بإشعال نار الفتنة بدل إطفائها، وذلك حين أشاع بين أتباعه بالجزائر أنّ ما يقومون به من محاربة الترك إنّما هو بالاتفاق مع السلطان المغربي مولاي سليمان، وهو ما اعتبره أكنسوس تحايلاً وكذبًا ومخادعةً من الدرقاوي الذي خالف تعاليم السلطان سليمان الذي أرسله لإخماد الثورة[28]، إذ يذكر أنّ العربي الدرقاوي زاد إذكاء الخلاف، وشجع أتباعه على الاستمرار في الثورة، وهو الموقف نفسه الذي عبر عنه الناصري، حيث اعتبر أنّ العربي الدرقاوي لم يلتزم بما كلفه به المولى سليمان، وإنّما شجع أتباعه ومريديه على المضي قدمًا فيما هم عليه من التمرد على الترك، إلى درجة أنّ الباي اتهم السلطان المغربي بأنّه هو من يقف وراء ما حصل، وقد تزايدت شكوكه بعد قيام محمد بن الشريف الغريسي بتحرير بيعة أهل تلمسان باسم المولى سليمان، وأرسلها مع وفد يتقدمهم العربي الدرقاوي[29].

بخلاف ماذهب إليه صاحب **الجيش العرمرم**[30]، دافع العربي المشرفي عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي نافيًا عنه التهم التي ألصقها به أكنسوس، بقوله: "ويح ابن الكنسوسي الذي تعرض لسخط الله وسخط رسوله، حيث تعرض لسب هذا الشيخ المبارك وقال إنّه لما بعثه السلطان المرحوم لإطفاء نار الفتنة أوقدها فمعاذ الله أن يوقدها"[31]، فكيف إذن قدم كل من العربي المشرفي وأكنسوس روايتهما للأحداث؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بينهما؟ وكيف قدمت باقي المصادر الأخرى روايتها للحدث؟

يُرجع العربي المشرفي ثورة درقاوة ضد الأتراك الجزائريين إلى ظلمهم للرعية، بقوله: "فسلط الله عليهم بسبب الظلم الواقع.. شخصًا من هذه الطائفة الدرقاوية من الزاوية الغريسية"، ويقصد بذلك عبد القادر بن الشريف قائد التمرد المستاء من سياسة الأتراك، الذين نفوه بعيدًا عن عشيرته تعسفًا، وقتلوا ونكلوا بالعديد من

---

[28] محمد بن أحمد أكنسوس، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، بدون. ج1، ص 284، من الهامش.

[29] يذكر الناصري أنّ دخول الباي لتلمسان تزامن مع القحط الشديد وانعدام الأقوات بها، ولم يجد بها إلا القليل من أهلها، فغالبية سكانها فروا إلى المغرب، وقدكتب الباي للسلطان أن يرد عليه أهل تلمسان، فكلمهم السلطان، في الرجوع فأبوا وقالوا "نذهب إلى بلاد النصارى ولانجاور الترك فنجمع علينا الجوع والقتل، فرق لهم السلطان وتركهم، وأكرم وفادتهم، ولم يغادروا إلى بلادهم إلا بعد أن أخصبت بلادهم"، راجع: الناصري، **الاستقصا**، ج7، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ص 141

[30] ما أورده أكنسوس في كتابه نقله عن الزياني.بقوله "وها أنا أذكرها بلسان الزياني ناقلها متبرءًا مما اشتملت عليه من تلم أعراض المؤمنين والصالحين قال الناقل المذكور...الخ" أنظر: محمد بن أحمد أكنسوس، **الجيش العرمرم**، ج1، م.س، ص 284

[31] العربي المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2276 ك، ص 201

أفراد طائفته. وهذه الأسباب التي أدت إلى ثورتهم ضد الباي هي نفسها التي وردت لدى الزياني وأكنسوس، ومحمد المشرفي والناصري، كما أنّ التفسيرات التي قدمتها جميع المصادر المغربية لانضمام الأعراب وأهل تلمسان إلى الثورة الدرقاوية ركزت على ظلم الأتراك وجورهم، وفرضهم الجبايات الثقيلة عليهم، ومصادرتهم الأموال بغير حق.

لا نجد أيّ خلافات تذكر بين المصادر حول ثورة درقاوة ضد الأتراك سنة 1805م، ووقائع الأحداث قبل ذهاب الشيخ العربي الدرقاوي إلى الجزائر بأمر من السلطان سليمان متشابهة، فالروايات تتحدث عن تمكن المتمردين الذين قاموا في وجه الباي من هزيمته، وتضييق الخناق عليه، فقد تمكنوا في ظرف وجيز من السيطرة على مدينة معسكر، التي جعلوها قاعدة لجيشهم، ومنها بدأت عمليات استقطاب القبائل بالمنطقة، وتأليبها ضد حكم الأتراك، فاجتمعت حولهم قبائل غرب الجزائر ووسطه، وامتدت الثورة من الشلف حتى الحدود المغربية، وانسدت الطرق بين وهران والجزائر العاصمة[32]، فلم يجد الباي بدًّا من مكاتبة السلطان المولى سليمان يطلب منه أن يبعث إلى المنتفضين شيخهم[33]، فاستجاب للأمر، بأن بعث لهم العربي الدرقاوي، ليصلح بين أتباعه وولاة الجزائر، فسافر هذا الأخير إلى غرب الجزائر صحبة مائة من أتباعه وأصدقائه[34]، وصحبه أيضًا الأمين الحاج الطاهر بادو المكناسي، وهنا تبدأ الروايات في التناقض والتضارب، فالعربي المشرفي ذكر أنّ مساعي الشيخ تكللت بالنجاح، حيث تمكن من إعادة الأمن إلى ربوع الجزائر، وهذا ما أكده بقوله: "ذهب بنفسه رضي الله عنه (العربي الدرقاوي) ممثلاً لكلام السلطان الذي أوجب الله طاعته على العباد، فلقي مريده وكفه عنهم"[35]، وتتوافق رؤية أبي زيان الغريسي المعسكري، مع رواية العربي المشرفي، والأمر نفسه نجده لدى محمد المشرفي في الحلل البهية الذي أكد نجاح مسعى السلطان في الصلح بين الأتراك والطائفة الدرقاوية عندما تطرق للحدث. في الجهة المقابلة نجد الروايات التي قدمها أبو القاسم الزياني وأكنسوس والناصري للوقائع مختلفة بشكل جذري[36]، فهي تتحدث عن مساندة العربي الدرقاوي لأتباعه وتشجيعه لهم على الاستمرار في الثورة، والاتفاق معهم على خلع طاعة الترك، ومبايعة السلطان المولى سليمان.

---

[32] محمد الخداري، "الدور السياسي للطريقة الدرقاوية في العلاقات بين المغرب والجزائر في القرن التاسع عشر"، **مجلة المناهل**، عدد 81/80، الزوايا في المغرب، ج2، ص 262

[33] الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج7، م.س، ص 140

[34] أبو زيان محمد المعسكري، **كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم: د 2339، ص 83

[35] العربي المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، م.س، ص 200

[36] اتسم موقف الناصري بالاعتدال بالمقارنة مع أكنسوس والزياني، على الرغم من أنّ روايته للأحداث مشابهة لروايتهما، فهو لم يتكلم بسوء في العربي الدرقاوي، ولم يتهجم عليه، ولم يصفه بالأوصاف القبيحة الواردة في **الروضة السليمانية** و**الجيش العرمرم**، أنظر: **الاستقصا**، ج7، ص 140

يعود اختلاف هؤلاء في روايتهم للحدث، بالدرجة الأولى، إلى اختلاف توجهاتهم الفكرية[37]، فالغريسي والعربي المشرفي ومحمد المشرفي من أتباع الطريقة الدرقاوية، ومن المتعاطفين معها[38]، ومن الطبيعي أن ينافح هؤلاء عن شيخ الطريقة ومناصريه، أما أبو القاسم الزياني، فهو بصفة عامة من معارضي الطرق الصوفية، إذ لم تسلم من هجماته أي طريقة، لذلك فموقفه المتحامل ضد العربي الدرقاوي، وضد الدرقاوية، يأتي ضمن هذا السياق، أما أكنسوس التيجاني التوجه، فإنّ ما ورد في كتابه من تجريح وتنقيص في حق العربي الدرقاوي، إنّما هو كلام نقله عن كتاب الروضة السليمانية للزياني- بالرغم من أنّه من ألد خصومه- ويبدو أنّ هذا النقل تسبب في ردود عنيفة ضد أكنسوس، من قبل العديد من مخالفيه[39]، بينما لم يتم استهداف الزياني صاحب النص الأصلي بالحدة نفسها، وعلى الرغم من كون أكنسوس قد نبه، عندما أورد هذا النقل السيء في حق الشيخ الدرقاوي إلى تبرئه منه، ومن صاحبه الزياني، لاشتماله على ثلم أعراض المؤمنين والصالحين، فإنّه لم يسلم من الهجمات اللاذعة التي توجهت إليه بالاتهام، ونجد تفسير ذلك في الصراع القوي، والتنافس الذي كان بين أتباع التيجانية من جهة، وأتباع الطريقة الدرقاوية من جهة أخرى، خصوصًا وأنّ أغلب الردود حررت في عهد السلطان المولى عبد الرحمان، أو بعده، وهي الفترة التي عرفت تراجعًا للطريقة التيجانية، وانتشارًا قويًّا للطريقة الدرقاوية الحراقية وسط النخبة المخزنية، وفي صفوف العلماء بفاس، ويبدو أنّ المؤلف أكنسوس قد رضخ للضغوطات في هذه القضية بالذات، فقد حذف جزءًا من الفقرة التي نقلها عن الزياني من كتابه في آخر حياته، ففي النسخة التي كانت في حيازة المؤلف، والتي حققها أحد حفدته (أحمد بن يوسف)، أشار إلى وجود شطب على 27 سطرًا، وهي السطور التي تتحدث عن الدرقاوي بسوء[40].

---

[37] يمكن تلمس هذا الاختلاف بوضوح في كتاباتهم، فقد خصص أكنسوس حيزًا كبيراً لدخول أحمد التيجاني للمغرب، وللوهابية، ودافع عنهما، في حين أنّ أبا القاسم وعلى خلافه وجه هجومات حادة لهما، وفقط اتسم موقفهما من فتنة درقاوة بالاتفاق، أمّا الناصري فلا نلمس في حديثه عن قدوم التيجاني إلى المغرب أيّ انتقاد بخصوص طريقته، بل بالعكس حبذ موقفه من نهي أصحابه عن زيارة القبور، كما لم يوجه أيّ انتقادات علنية إلى الشريف العربي الدرقاوي في حادثة ثورة أتباعه بالجزائر، أما بخصوص الدعوة الوهابية فإنه علق بشكل إيجابي على مبادئها، وقد وضح موقفه من زيارة القبور وشروط ذلك، ونوه برسالة السلطان الشهيرة التي هاجم فيها بدع الطوائف الصوفية، أما العربي المشرفي فإنّه دافع بقوة عن ثورة درقاوة، ولم يشر في معرض حديثه عن الزوايا إلى الطريقة التيجانية.

[38] نرجح أن يكون محمد المشرفي درقاوي الطريقة، والدليل تعاطفه مع ثورتهم بالجزائر ضد الأتراك، ووصفه للدرقاويين بأهل النظافة والنقاوة، وشماتته في الأتراك لما نزل بهم من العقاب الفرنسي، الذي هو -بحسب المشرفي- ناتج عن كثرة جورهم واعتدائهم على الأولياء من شيوخ الطريقة الدرقاوية، "فما لبثوا إلا عامين أو ثلاث سنين من قتلهم لعبد الله بن حواء الغريسي، ومحمد بن زيان القندوسي، حتى سلط الله عليهم من قطع ظلمهم وخرب ملكهم، وأراح الناس من شرهم"، وفي حرب درقاوة ووقائعها يحيل المشرفي إلى كتاب الشيخ أبي الرأس، المسمى **درء الشقاوة في حروب درقاوة**. راجع: محمد المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، ج2، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2005، ص ص 54-55

[39] اتسم رد العربي المشرفي على أكنسوس بالعنف والقسوة في اللفظ، فقد وسمه بالمغرور الذي سود القراطيس- إشارة إلى الجيش العرمرم- بسبّ الشيخ العربي الدرقاوي، أنظر: العربي المشرفي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي**، م.س، ص 196

[40] نورد ما قاله أكنسوس في السطور التي قام بشطبها، والتي أوردها المحقق في الهامش. قال مملية عفا الله عنه ولطف به: هذه قضية لولا ما اشتملت عليه من الأوصاف الجميلة المتعلقة براية السلطان ما ذكرتها، وها أنا أذكرها بلسان الزياني، ناقلها متبرءًا مما اشتملت عليه من ثلم أعراض المؤمنين والصالحين، قال الناقل المذكور: ولما بلغوا لمحلة ابن الشريف وهو محاصر على وهران، واجتمع مولاي العربي بطائفته استأسد المرابط وظهر منه العجب وصار يقول للعرب إنّ الترك أدبرت أيامهم وأنّ الله ملككم أرضهم وديارهم وأموالهم، ولا تقوم لهم قائمة..، فلما سمعوا منه ذلك لم يشكوا أنّ الظفر لهم فازدادت عزائمهم وهممهم على حرب الترك، وتظافروا عليهم، فلما بلغ الخبر إلى أهل وهران أخبروا الباي بذلك، فاتهم السلطان لأنّه كان ينتظر منه الفرج على يده، ويترجاه ويتشوق إلى رفع هذا الخرق، فأخفق سعيه في الدرقاوي وفي السلطان، فركب مدافعه لناحيتهم ورماهم بالكور والبور في

يتّضح من خلال وساطة السلطان مولاي سليمان بين الأتراك والثوار الدرقاويين، مدى التقدير الذي يكنه العربي الدرقاوي للسلطان، فعلى الرغم من الاستهجان الذي استهدف الممارسات الدرقاوية التي اعتبرها العلماء خروجًا عن قيم المجتمع المغربي، لم يمنع ذلك السلطان من الحفاظ على علاقات جيدة مع شيخ الدرقاويين، فالعامل السياسي الذي تمثل في التنافس المغربي التركي، حتم على السلطان التعاطف مع الحركة الدرقاوية في صراعها مع الأتراك الجزائريين، الذين طالما رغبوا في السيطرة على المغرب، ومما يؤكد ذلك نص البيعة التي تقدم بها الدرقاويون من أهل تلمسان إلى السلطان، وتشير بعض الدراسات إلى أنّ الشيخ الدرقاوي إنّما كان يتصرف بالفعل بأمر من المولى سليمان، وبتأييد منه، ومما يؤكد ذلك رسالة بعثها السلطان إلى العربي الدرقاوي، خاطبه فيها بالقول: "الشريف الحسني الفقيه البركة سيدي العربي الدرقاوي سلام عليك ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد بلغنا كتابك فجزاك الله على نصحك للمسلمين، فإنّنا لا نريد إلا العافية والهناء لهم، ولذلك وجهناك، وما ذكرت من قدومك ببيعة ولدكم السيد عبد القادر بن الشريف مع أصحابه فمرحبًا به، وبأصحابه، فالله يوفقه للخير ويعينه عليه، وقد أحسنت في الإتيان بتلك القافلة وجلوسك عليها، حتى خلصها الله على يدك من التلف، فالكل في ميزان حسناتك إن شاء الله، وإذا قدمت علينا نتشاور معك في أمر تلك الناحية، وما تشير به علينا يكون العمل إن شاء الله، لأنّه ليس من رأى كمن سمع"[41].

إذا كانت الطريقة الدرقاوية قد عبدت الطريق أمام السلطان سليمان لضم غرب الجزائر إلى منطقة نفوذه، من خلال عقد البيعة الذي حرروه بتلمسان، وبغض النظر عن الأسباب التي جعلته يتردد في قبولها، فإنّ العلاقات بين الطرفين ستشهد تدهورًا حادًّا في أواخر حكم عهد السلطان سليمان، لأسباب مرتبطة بسياسة هذ الأخير اتجاه القبائل والشرفاء وعلماء فاس من الجيل الجديد. ولا يمكن بأي حال من الأحوال تفسير هذه العدواة بحملة السلطان ضد الطرقية، أو تأثره بالمذهب الوهابي، فمسار العلاقات بين الزوايا والسلطان خلال هذه الفترة لم يتأثر بالعوامل الخارجية، بقدر ما ارتبط بالأسباب الداخلية العميقة، فرسالة السلطان التي وجهها إلى خطباء المساجد بغرض تلاوتها على جموع المصلين يوم الجمعة، لم تكن تستهدف الزوايا جميعًا، وإنّما كانت

الضوبلي، فأبعدوا عنه وانهزموا، وظهر للعرب خلاف ما ظنوا، وظهر للقوم كذب الدرقاوي وبطلان زعمه، فتلاقى أمره ورجع من وهران إلى تلمسان فنزلوا عليها وضيقوا بأهلها وخدعهم الدرقاوي بأن قال لهم ما فعلنا هذا إلا بأمر السلطان مولاي سليمان، فدخلوا في حزبه واختلفوا مع الترك والكورغلية، وأدخلوا عبد القادر بن الشريف ودرقاوة وخطبوا بالسلطان مولاي سليمان، وكتبوا بيعتهم له، وكتب عبد القادر بن الشريف ببيعته، ووجه وفده وهديته للسلطان مع الدرقاوي، وتقدم ابن الشريف وأهل تلمسان الحضرة لحرب الكرغلية والترك، فحصروهم بالمشور ونواحيه، فلم يبق شك ولا ريب بأنّ ذلك بأمر سلطان المغرب، فكتبوا بذلك للباي والدولاتي واشتعل الحرب بينهم في وسط المدينة، فلما قدم الدرقاوي بوفد تلمسان وهديتهم وبيعتهم ووفود الأعراب وهدية ابن الشريف وبيعته ظنًّا من أنّ السلطان يقبل ذلك ويفرح به ويثيبه عليه، ولما اجتمع بالسلطان لبس عليه الأمر، وزين له القول، وقال له إنّ العالم مقبل عليك، وكل الناس متشوقون لدولتك، وابن الشريف إنّما هو خديمك وخليفتك، وهذه بيعته وهديته، ولما خرج السلطان بعث للأمين الذي وجهه معه، وسأل عن حقيقة الحال، فأخبره بأقواله وأفعاله وما نسب إليه، وأنّ الترك ما بقي عندهم شك في أنّ ذلك كله بإغرائك ومنسوب إليك، فرد السلطان على أهل تلمسان هديتهم وبيعتهم وطردهم عن بابه، وقال لهم: ارجعوا إلى بلادكم ولا حاجة لي بولايتكم، وتوبوا إلى الله من فعلكم. راجع: أكنسوس، **الجيش العرمرم**، ج1، ص 284، وهذا النص نقله بالفعل من الزياني، مع اختلافات بسيطة، راجع: أبو القاسم الزياني، **الروضة السليمانية**، م.س، ص 245

[41] هذه الرسالة موقعة في جمادى الأخير عام 1120، وقد ذكر المؤلف محمد البشير بن عبد الله الفاسي أنّه وقف عليها، دون أن يذكر مصدرها، راجع كتابه: **قبيلة بني زروال: مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، منشورات جمعية علوم الإنسان الرباط، بدون، ص ص 44-45

تخص منها تلك التي تمارس الحضرة والحالة والجذبة والرقص على إيقاع الطرب في المواسم، أمثال جلالة وعيساوة، والتي وردت بالاسم في رسالته[42].

السلطان سليمان: بين محاربة البدع وتأثيرات الدعوة الوهابية

إنّ عداء المولى سليمان للبدع وانتقاداته لممارسات بعض الزوايا تعود إلى سنة 1769م، فالرسالة التي بعثها إلى شيخ الزاوية الوزانية في هذه السنة تتضمن مؤاخذات على بعض الممارسات البدعية، وذلك في وقت لم تكن فيه الدعوة الوهابية قد وصلت رياحها إلى المغرب بعد، ولم يكن قد سمع بها أحد، فالأخبار الأولى التي تحدثت عن الوهابية تعود إلى عام 1802، فقد نقل المؤرخ الضعيف بعض المعلومات عنهم استنادًا إلى روايات استقاها من الحجاج، الذين قدموا له صورة سيئة عنهم، وعن سلوكهم، فوجه سهام النقد لهم، وأنكر عليهم منعهم الناس قراءة كتاب دلائل الخيرات للجزولي[43]، ومما ينفي تأثير الوهابية في مواقف السلطان من حفلات المواسم وزيارة الأضرحة، العداء الكبير الذي عبَّر عنه أبو القاسم الزياني اتجاه الطوائف والطرق الصوفية، فهجومه الشديد على ممارساتها -التي اعتبرها بدعًا في الدين- يفوق هجوم السلطان عليها، بل إنّ تشدده في انتقاد الطرق الصوفية لا يُعادله في الحدة إلا انتقادات الحركة الوهابية، ومع ذلك، فتوافقهما في نقد ممارسات التصوف لا يعني بتاتًا توافقهما، فالزياني وجه سهامه نحو الطائفة الوهابية، وكان قاسيًا في انتقاداته لآل سعود، ولأفكارهم، لذلك فإنّ الربط بين موقف الوهابية وموقف السلطان من الزوايا غير صحيح، فالتوافق إنّما هو عرضي، والأمر نفسه ينطبق على التفسير الذي تم تقديمه بشأن ترحيب السلطان بشيخ الطريقة التيجانية، وربط ذلك بنهي أصحابه عن زيارة القبور، أو تفسير موقف دفاع أكنسوس عن الوهابية بالسبب ذاته، فالتيجاني دخل إلى المغرب سنة 1798، أي قبل نجاح الدعوة الوهابية في الحجاز بأربع سنوات، وقبل وصول كتاب عبد الله بن سعود للسلطان بأربع عشرة سنة، وإذا كان السلطان قد عبَّر عن موقف إيجابي من الدعوة الوهابية، فإنّ ذلك لا يخرج عن آداب المراسلات الديبلوماسية[44]، ولأنّه لم يجد في الرسالة ما يخالف مبادئه، فعداؤه للبدع يعود إلى ما قبل توصله برسالتهم، لذلك فإنّ تأثير الوهابية في مواقف السلطان غير مؤكدة، ويصعب الجزم بها، فالوثيقة

---

[42] عبد السلام الطاهري، **الفكر الإصلاحي بالمغرب الخطاب السلفي المخزني نموذجًا من 1757 إلى 1894**، م.س، ص 207، وأنظر النص الكامل للخطبة التي كتبها السلطان المولى سليمان، وأمر خطباء المساجد بقراءتها على جموع المصلين يوم الجمعة، في الترجمانة الكبرى، وقد حذر فيها من أهل البدع والمبتدعين، وأنكر عليهم، ونهى عن الاجتماع في المواسم بالإنشاد والآلة والرقص، وتوعد المخالفين بالعقوبة إن لم ينتهوا. للاطلاع على الرسالة كاملة، يراجع: أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برًّا وبحرًا**، م.س، من ص 466 إلى ص 471

[43] محمد بن عبد السلام الرباطي، **تاريخ الضعيف الرباطي**، ج2، م.س، ص 606

[44] يقدم كتاب **الابتسام عن دولة ابن هشام** تفسيرًا لم يتنبه إليه الباحثون لجواب السلطان عن رسالة الوهابي، فسبب القصيدة المشهورة حسب المؤلف إدريس أبو العلاء، هو أنّ مولاي إبراهيم بن السلطان سليمان لما أراد التوجه إلى المشرق بنية الحج، ظهر لأبيه أمير المؤمنين أن يوجه معه كتابًا يستعطف فيه الوهابي، لأنّه أمير مكة في ذلك الوقت، وخاف أن يمنع ولده من الوقوف بعرفة، فلما كتب له الكتاب كتب معه قصيدة يمدحه بها، راجع: عبد الهادي التازي، "حول مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام لأبي العلاء إدريس"، **مجلة المناهل**، عدد 36، ص 99

الوهابية الرسمية التي وصلت للسلطان كانت سنة 1811[45]، وقد أجاب عليها في السنة نفسها، ويتضح من خلال النقاش الذي أعقب وصول هذه الرسالة، وجواب السلطان عليها، تصدع كبير في المواقف[46]، فالعلماء المغاربة الذين يمكن نعتهم بالسلفيين هم فقط من كان لهم موقف إيجابي من الدعوة الوهابية، إذ لم يجدوا أي تناقض بينها وبين ممارساتهم وما يعتقدونه، فالمذهب الحنبلي لم يكن مجهولاً بالمغرب، ومسند الإمام أحمد كان يدرس في فاس، والسلطان محمد بن عبد الله كان حنبلي العقيدة، مالكي المذهب كما عبر، لذلك فجذور سلفية المولى سليمان تعود إلى والده أكثر مما تعود إلى المشرق، فسيدي محمد بن عبد الله يُعتبر من رواد الحركة السلفية المغربية، إذ "كان يوصي بالعودة إلى الأصول الأولى للإسلام، التي تتمثل في الاكتفاء بالأخذ بظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل،.. وكان يظهر تفضيلاً واضحًا للمذهب الحنبلي"[47]، وكان له شغف كبير بكتب الحديث التي خصص لها أغلب مؤلفاته[48]، وحتى وإن كان هناك من تأثير محتمل للدعوة الوهابية على السلطان سليمان، فإنّ ذلك لايعني بتاتًا التزامه بطريقتهم المتشددة التي اتبعوها ضد التصوف، بل اكتفى بمواجهة أهل البدع منهم، وخاصة الطريقة العيساوية التي أثارت الكثير من الجدل للطابع المفرط الغالب على سلوكياتها، وهي تشمل الرقص العنيف والمشي على الجمر وأكل لحم العنز الحي وشرب الماء الساخن، وهذه الطريقة أسّسها محمد بن عيسى الفهري (ت1527) ولذلك فإنّها، وشبيهاتها من الطرق هي التي تم استهدافها قبل غيرها بسهم النقد وليس الصوفية بأكملها، فالعلماء المحيطون بالسلطة كانوا يجمعون على مساندة الطرق، والنقد الصريح للتصوف في المغرب لم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، أما قبل ذلك، فإنّ التعايش بين التصوف والسنة على مستوى المؤسسات والأفكار ظل السمة البارزة[49]، فالتوافق بين العلماء والتصوف ظل ساريًا خلال القرن التاسع عشر وما قبله، فلم يظهر أي مؤلف ينتقد أو يعارض التصوف، ويتبنى خط الوهابية المتشدد، بل حتى العلماء الذين ساندوا الإصلاحات في القرن التاسع عشر لم ينتقدوا الطرق الصوفية، بل أغلبهم كانوا منخرطين فيها أو متعاطفين معها.

---

[45] محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين** (1792-1822) ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006، ص 234

[46] لم تسلم هذه القضية بدورها من اختلافات بين العلماء والمثقفين خلال الفترة نفسها، فقد خصص أكنسوس حيزًا كبيرًا في كتابه للوهابية، ودافع عنها بالحماسة نفسها التي دافع بها من قبل عن التيجانية، وعلى العكس تمامًا هاجم الزياني آل سعود ودعوتهم، وشن عليهم هجومًا لاذعًا.

[47] جاك كايي، "بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب"، تعريب زبيدة بورحيل، سعيد النجار، **مجلة البحث العلمي**، العدد 35، ص 322

[48] الحسن العبادي، **الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حياته، حركته السلفية، نهضته العلمية والإصلاحية**، رسالة تقدم بها لنيل ديبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط، نوقشت 14 مارس 1971، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، بنميد، الدار البيضاء، ص 91

[49] قرين، أرنود هـ، **العلماء التونسيون 1873-1915** ترجمة حفناوي عمايرية، وأسماء معلى، نشر، المجمع التونسي بيت الحكمة ودار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1995/1416م، ص 92

الشيخ الحراق: ضخ نفس جديد في الطريقة الدرقاوية خلال عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام

عرفت العلاقة بين الزاوية الدرقاوية والمخزن تقلبات كثيرة، اتسمت بالمواجهة العنيفة مع السلطة في مراحلها الأولى، فقد أسهمت في نخر عرش السلطان مولاي سليمان، فمولاي العربي شيخ الطريقة عارض السلطان وثار أتباعه، وخلال هذه المواجهة كبد الدرقاويون المخزن هزائم متعددة، ففي سنة 1818 تمكنوا من أسر السلطان لعدة أيام بعدما هزموا جيشه، وقتلوا ابنه المولى إبراهيم، وفي 1819 حوصرت مكناس من قبل أبي بكر أمهاوش، أحد مناصري درقاوة، وفي سنة 1820 وقع مولاي العربي الدرقاوي والحاج العربي الوزاني وأعيان فاس وثيقة خلع السلطان سليمان، وتنصيب أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد خلفًا له، غير أنّ إخفاق هذه العملية وأسر مولاي العربي الدرقاوي جعلت أنصاره يخففون من نشاطهم المعارض في محاولة لإنقاذ حياته، وإثر وفاة هذا الأخير 1832م سيخلفه ابنه مولاي الطيب الذي سيكتفي بحياة هادئة إلى أن توفي سنة 1870، ليتولى أمر الزاوية من بعده مولاي عبد الرحمان الذي ظل ممتثلاً للمخزن، إذ لم يشارك في الانتفاضة التي قادها الدرقاوي بوعزة الهبري بنواحي وجدة في عهد المولى محمد بن عبد الرحمان ولا في عهد المولى الحسن[50].

لذلك فالمواقف السياسية للزاوية الدرقاوية وأتباعها من السلطان سليمان هي التي حددت سياسته اتجاهها، فإذا كان العربي الدرقاوي قد اتجه إلى مساندة الأطراف المعارضة له، فإنّ تلميذه الشيخ محمد الحراق لم يتورط في ما تورط فيه شيخه، فموقفه المتحفظ من خلع بيعة سليمان وتولية ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد، ومن بعده أخيه المولى سعيد بتطوان، ساهم في نجاح دعوته بعد ذلك، فتجنبًا منه للإحراج، خرج محمد الحراق متخفيًا من تطوان إلى قبيلة الحوز، إذ لم يكن بإمكانه البقاء في مدينة خاضعة لسيطرة السلطان الجديد إبراهيم بن اليزيد، وأنصاره من الريسونيين والعلماء والأعيان والقضاة التطوانيين، لدرجة أنّ كل من أظهر تمسكه ببيعة السلطان سليمان عزل من منصبه، وقد مكث محمد الحراق بالحوز، ولم يرجع إلى تطوان إلا بعد أن عادت إلى طاعة المولى سليمان، سنة 1237هـ، إثر فشل الانقلاب المضاد ضده، فكان من الطبيعي بعد عودة الحياة السياسية إلى مجراها مع فشل حركة أبناء اليزيد أن يقدر السلطان موقفه، وأن ينظر بعين العطف للدرقاويين من أتباع محمد الحراق بتطوان، بالرغم من كون زعيمهم الروحي تورط في بيعة خصومه.

[50] عبد اللطيف حسني **"الأصول الفكرية لنشأة الوطنية المغربية" دراسة في تطور الأفكار السياسية 1800-1912**، تقديم عبد الله إبراهيم أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1991، ص 29

لقد تراجعت مكانة الريسونيين لدى السلطان، وقلت علاقته بهم، في حين توطدت مع الشيخ الحراق، وازدادت العلاقة متانة في عهد خلفه عبد الرحمان بن هشام، فبمجرد وصوله إلى الحكم أفرج عن مولاي العربي الدرقاوي من السجن، [51] وأخذ عنه ورد الطريقة على سبيل التبرك. وبالتالي تم تدشين عهد جديد من تاريخ الزاوية الدرقاوية في علاقتها بالسلطة والمجتمع. ولاشك أنّ مظاهر تحول الطريقة الدرقاوية بدأت مع سيرة محمد الحراق، التي ابتعدت عن الممارسات التي شجبها العلماء والنخبة الحضرية في السابق. فبخلاف ابن عجيبة، استطاع محمد الحراق النجاح في دعوته، فقد تجاوز بسرعة أزمته التي مر منها، وعاد بسرعة مبهرة إلى نشاطه السابق، وبدأ في استقطاب الطلاب من جديد، وفتح فروعًا لزاويته بفاس والرباط وطنجة والدار البيضاء وغيرها من المدن، وتحول في ظرف وجيز إلى شيخ من شيوخ التربية، وإمام من أئمة التصوف الكبار.

لقد ساهم محمد الحراق في ضخّ نفس جديد في الطريقة الدرقاوية، وأنقذها من الأفول المبكر، إذ نجح في كسر طوق العزلة الذي حاولت النخبة الحضرية فرضه على الطريقة الدرقاوية[52]، بل كان له دور كبير في جلب النخبة العالمة والدوائر المخزنية إلى صفوفه، من خلال تدعيمه اتجاهًا صوفيًّا مغايرًا قائمًا على الوسطية، وتجنب المغالاة، ومعايشة الواقع، وقد تعزز هذا الاتجاه أكثر بعد وفاة الشيخ العربي الدرقاوي سنة 1239هـ، كما ازدادت مكانة الحراق عند السلاطين العلويين ليس باعتباره فقيهًا اجتمع فيه العلم والأدب، بل أيضًا متصوفًا حقق الواقعية للدرقاوية، فكان تبعًا لذلك موضوع عناية ورعاية وتشجيع وإنعام[53].

لقد غدا محمد الحراق يكاتب السلطان الجديد، ويطلب مساعدته المادية، ولم يبخل عليه السلطان بشيء، كما احتل مكانة كبرى عند قائد تطوان الحاج محمد أشعاش، الذي صار لا يقطع أمرًا دون مشورته، وكان هذا الأخير عينه السلطان عبد الرحمان على تطوان، بعد عزل القائد محمد العربي بن يوسف، وولاه مكانه، وقد أظهر أشعاش غلظة في مواجهة أهل تطوان من مؤيدي حركة انقلاب أبناء اليزيد سابقًا، إذ أعدم غالبيتهم، وهكذا لم تعد تطوان موطنًا للمعارضة كما كانت عليه في عهد سليمان[54].

---

[51] مكث الشيخ العربي الدرقاوي في السجن سنتين وأربعة أشهر، ولم يطلق سراحه إلا بعد موت مولاي سليمان، ومبايعة مولاي عبد الرحمان، الذي كان يجتهد في مبدأ ملكه على تأليف القلوب والتفافها حوله، ولابن الغازي الذي نال الحظوة لدى السلطان الجديد الدور الأكبر في إطلاق سراح شيخه سنة 1238ه، فقد استجاب السلطان لرغبته. راجع: محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، **قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، م.س، ص 46

[52] محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين** 1792-1822، م.س، ص 282

[53] أحمد بوكاري. **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب** 1790/1214 - 1912/1330. ج1، **الدرقاوية والإحياء الصوفي الشاذلي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2006/ 1427، مطبعة فضالة المحمدية، ص ص 150-185

[54] عبد المجيد الصغير، **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17**، ج1، م.س، ص ص 254-256

لقد توطدت العلاقة بين السلطان عبد الرحمان وبين درقاوة تطوان، الذين أصبحوا تحت نفوذ محمد الحراق، فكان ذلك سببًا في اتساع دائرة أتباعه ومريديه، في أغلب مدن المغرب، ومما يؤكد قوة العلاقة التي جمعت السلطة ومحمد الحراق، إنفاذ السلطان له إحدى حوانيت تطوان سنة 1239هـ، وأنعم عليه بعد سنة من ذلك بدار واسعة، كما ترسخت بين الباشا ومحمد الحراق علاقة صداقة ومودة، في الولاء لشخص السلطان، وتوطد بذلك مركزه لدى المولى عبد الرحمان، الذي أعان الشيخ الحراق على توسيع زاويته بتطوان عام 1257هـ، لينقطع بعدها للعلم والمشيخة والتدريس، إلى أن توفي بها سنة 1261هـ[55].

تراجع التيجانية وتغلغل الدرقاوية وسط النخبة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن

لقد نافست الطريقة الحراقية غريمتها التيجانية وزاحمتها على مركز الصدارة داخل البلاط السلطاني، ويبدو لافتًا تغلغل الدرقاوية وسط النخبة المخزنية، والتفاف عدد كبير من سكان الحواضر حولها، وذلك بخلاف ما كان عليه الأمر في السابق، فقد حازت الطريقة الدرقاوية الحراقية لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان ونخبته السياسية، المكانة نفسها التي كانت للتيجانية في عهد سلفه المولى سليمان، وازدادت أهمية هذه الطريقة، في عهد السلطان الحسن الأول، فقد حرص العلماء على الانتظام في سلكها، وبدأت تتسع دائرة أتباعها في مختلف مناطق المغرب، وفي مقدمتها مدينة فاس، إذ كان الشيخ الحراق يتردد عليها باستمرار، ويلقي في زاويته بها دروس التفسير، وقد ساهمت فصاحته، وانتقاداته لاتخاذ المرقعات في جلب عدد كبير من طلبة العلم إلى طريقته[56]، وممن أخذ عنه التصوف علي بن محمد السوسي السملالي، حيث كان يحضر دروسه بتطوان، ولازمه بها مدة، وذلك خلال السنوات الأخيرة من عمر الشيخ الحراق، وهي الفترة التي تفرغ فيها للتدريس والدعوة إلى تعاليم طريقته بشكل نهائي، وقد استغل علي بن محمد السوسي السملالي فرصة وجوده بمدينة تطوان، مدرسًا مادة الحساب للطلاب المقبلين على الانضمام للجيش، بأمر من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، للأخذ عن الشيخ الحراق، وقد وصفه علي السوسي السملالي في كتاباته مرارًا وتكرارًا: بشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا محمد الحراق، ووسمه بشاذلي الوقت، ونقل عنه في العديد من المناسبات، ومن المعلوم أنّ الطريقة الدرقاوية الحراقية تعتبر من الطرق الصوفية التي شجعها السلطان عبد الرحمان وولده من بعده، فقد انخرط في صفوفها العديد من رجالات العلم وأعيان السلطة، منهم أحمد بن الحاج السلمي، وقبله والده محمد بن

[55] توفي محمد الحراق سنة 1261هـ/1845م، ودفن بتطوان، بزاويته الشهيرة به، وضريحه بها مزار مشهور معروف، أنظر ترجمته في: **السلوة**، ج1، ص389. وفي **إتحاف المطالع..**، القسم الأول، ج7، م.س، ص 2575. وقد خصه تلميذه أبو عبد الله محمد بن العربي الرباطي الدلائي بترجمة مفصلة في كتابه الشهير: **النور اللامع البراق في ترجمة سيدي محمد الحراق**، مخطوط بالخزانة الوطنية، تحت رقم 960د.

[56] عبد الله بن عبد القادر التليدي، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، م.س، من ص 228 إلى ص 232/ عبد المجيد الصغير، **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17**، ج1، م.س، ص ص 248/243

الحاج الذي كان متصوفًا على الطريقة الشاذلية الدرقاوية التي أخذها بنفسه عن الشيخ محمد الحراق[57]، ومنهم من آل سودة، العالم الكبير المهدي بن الطالب بن سودة (1220-1294هـ)، وأخواه: الفقيه عمر بن الطالب (ت1285هـ)[58]، والمحدث محمد بن الطالب (1216-1294هـ)، الذي كان من المنتخبين لقراءة الحديث بالحضرة السلطانية[59]، والدار التي بُنيت على أنقاضها بفاس الزاوية الحراقية، تبرع بها بالتعاون الأخوان: عمر ومحمد بن الطالب، ومن الذين انخرطوا في صفوفها أيضًا: الأديب والوزير محمد بن إدريس العمراوي، ونقيب الأشراف بالمدينة البلغيثي، والفقيه الشريف الغالي اللجائي العمراني، صاحب كتاب دوحة المجد، الذي ذكر تتلمذه واتصاله بالشيخ العالم محمد الحراق بفاس، وعنه أخذ الطريقة ابن عمه الكاتب عبد السلام اللجائي، الذي كان من المدافعين على الطريقة، مثله مثل السملالي، فكلاهما هاجما من انتقص من شيوخها، وكانا من محبذي حمل السبحة التي هي علامة من العلامات المميزة للدرقاويين، كما ورد ذلك في كتاباتهما[60].

[57] **المعلمة**، ج10، ص 3247، وقد رجح محقق كتاب **الدر المنتخب**، أن يكون أحمد بن الحاج، من أتباع الطريقة الوزانية، التي كان يتردد عليها بآسفي، وظل أبناؤه من بعده يترددون على الزاوية الوزانية بفاس، غير أنّه أكد أخذه عن الشيخ محمد الحراق. أنظر: أحمد ابن الحاج السلمي **"الدر المنتخب في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن"** دراسة وتحقيق أحمد إيشرخان، ج1، قسم الدراسة، م.س، ص 74

[58] عمر بن الطالب بن سودة، كان له ميل كبير إلى التصوف، وقد أخذ عن سيدي محمد الحراق، راجع: محمد الفاطمي الصقلي، **وفيات الصقلي، ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر**، تقديم وتحقيق أحمد العراقي، الطبعة الأولى، 1422/2001، ص 110

[59] العباس بن إبراهيم المراكشي، **الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام**، ج7، م.س، ص 19/ محمد داود. **تاريخ تطوان**، ج6، المجلد السادس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيلي، المطبعة المهدية، تطوان، 1386هـ/ 1966، ص 321

[60] محمد بن إبراهيم السباعي، **البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن**. تقديم وتحقيق محمد امنصور، ج1، من التقديم، ص 64/ علي بن محمد السملالي، **مطالع الحسن واتباع السنن**، م.س، ص 154

لائحة المراجع والمصادر

- أحمد ابن الحاج السلمي، **"الدر المنتخب في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن"**، دراسة وتحقيق أحمد إيشرخان، ج1، قسم الدراسة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف محمد المنصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، موسم 2002-2003م.
- أرنود هـ، قرين، **العلماء التونسيون 1873-1915** ترجمة حفناوي عمايرية، وأسماء معلى، نشر، المجمع التونسي بيت الحكمة ودار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1995/1416م.
- الأزمي، أحمد، "الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19"، **مجلة المناهل**، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2000
- أكنسوس، محمد بن أحمد، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، بدون.
- بن سودة، عبد السلام، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- بن عبد الله، عبد العزيز، **معلمة التصوف الإسلامي**، ج2، الطبعة الأولى، 2001
- بورك، إدموند، **الاحتجاج والمقاومة في مغرب ما قبل الاستعمار (1860-1912)**، ترجمة محمد أعفيف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم 17، الطبعة الأولى 2013، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- بوكاري أحمد، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب** 1214 / 1790 - 1330/ 1912. ج1، **الدرقاوية والإحياء الصوفي الشاذلي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2006/ 1427، مطبعة فضالة المحمدية.
- التليدي، عبد الله بن عبد القادر، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثالثة، 2000
- حركات، إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، دار الرشاد الثالثة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1414-1993
- حسني، عبد اللطيف، **"الأصول الفكرية لنشأة الوطنية المغربية" دراسة في تطور الأفكار السياسية 1800-1912**، تقديم عبد الله إبراهيم أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1991
- حوتية، محمد الصالح، **توات والأزواد، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، تقديم أبو القاسم سعد الله، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 2007
- الخداري، محمد، **"دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823م"**، دكتوراه وطنية، تخصص تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، موسم 2005/2004، مرقونة.
- داوود، محمد، **تاريخ تطوان**، المجلد السادس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيلي، المطبعة المهدية، 1386هـ/ 1966، تطوان.
- الزياني، أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برًّا وبحرًا**، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الثانية، 1412، 1991
- الزياني، أبو القاسم، **الروضة السليمانية، الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية**، مخطوط، نسخة مكتبة آل سعود.
- السائح الشرقي العمري التيجاني، محمد العربي، **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، دار الفكر للطباعة والنشر، 1973م.

- السباعي، محمد بن إبراهيم، **البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن**. ج2. تقديم وتحقيق محمد المنصور، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، إشراف محمد الأمين البزاز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مرقونة، 2002

- السملالي، علي بن محمد السوسي، **مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن**. دراسة وتخريج خالد طحطح، رسالة لنيل شهادة ديبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، مرقونة، 2007

- السملالي، علي بن محمد السوسي، **مطالع السعادة في فلك سياسة الرئاسة**. مخطوط بالخزانة الملكية، رقم 11445

- الصغير، عبد المجيد، **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17**، ج1، دار الآفاق الجديدة المغرب، الطبعة الثانية 1415/1994 مطبعة النجاح الجديدة.

- الصقلي، محمد الفاطمي، **وفيات الصقلي، ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر**، تقديم وتحقيق أحمد العراقي، الطبعة الأولى، 2001/1422

- الطاهري، عبد السلام، **الفكر الإصلاحي بالمغرب، الخطاب السلفي المخزني نموذجًا من 1757 إلى 1894** الطبعة الأولى، 2008، طوب بريس، وهي في الأصل رسالة جامعية قدمت لنيل دبلوم الدراسات العليا أنجزت سنة 1991

- العبادي، الحسن، **الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حياته، حركته السلفية، نهضته العلمية والإصلاحية**، رسالة تقدم بها لنيل ديبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط، نوقشت 14 مارس 1971، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، بنميد، الدار البيضاء.

- العدناني، الجيلالي، "أصول الزاوية التيجانية، حينما يتكلم المريدون الأوائل"، ترجمة إدريس خضراوي، **مجلة المناهل، الزوايا في المغرب**، ج2، وزارة الثقافة المغربية، فبراير 2007، العدد 80، 81

- الفاسي، محمد البشير بن عبد الله، **قبيلة بني زروال: مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، منشورات جمعية علوم الإنسان الرباط، بدون.

- كايي، جاك، "بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب"، تعريب زبيدة بورحيل، سعيد النجار، **مجلة البحث العلمي**، العدد 35

- الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425-204

- اللجائي العمراني، عبد السلام بن أحمد، **المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية**، تحقيق محمد الدريدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف علال الخديمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة الجامعية 2004-2005. مرقونة.

- المراكشي، العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج9، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ/1983م.

- المشرفي، العربي، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2276 ك.

- المشرفي، محمد، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، ج2، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2005

- المعسكري، أبو زيان محمد، **كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم: د 2339

- **معلمة المغرب**، تأليف مشترك، ج18، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. المغرب

- المنصور، محمد، **المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين** (1792-1822) ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006
- الناصري، أحمد بن خالد، **كتاب الاستقصا**، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الجزء7، سنة 2001

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com